مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 1, Issue: 3 2025

استقصاء الأصول والنظائر اللغوية في بناء الجملة في شعر المتنبي، المنهج النقدي للواحدي مرتكزاً

Investigating Linguistic Principles and Analogies in Sentence Structure in Al-Mutanabbi's Poetry, Based on Al-Wahidi's Critical Methodology

د. هشام ميري: أستاذ زائر بالمدرسة العليا للأساتذة، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب.

Dr. Hicham Miri: Visiting Professor at the Advanced School of Teachers, Sultan Moulay Slimane University, Beni Mellal, Morocco.

hicham17.miri@gmail.com

مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 1, Issue: 3 2025

المستخلص:

يتناول هذا البحث المنهج النقدي للواحدي في شرح شعر المتنبي، مع التركيز على الأصول والنظائر اللغوية في بناء الجملة. ينطلق البحث من مكانة شعر المتنبي كظاهرة فريدة في الأدب العربي، والتي حظيت بشروح متعددة اتسمت بالتكرار والنقل الحرفي. يهدف البحث إلى استقصاء منهج الواحدي في شرح ديوان المتنبي، مُبرزًا روايته ومنهجه وطريقته المنظمة التي بدأت بدراسة اللغة (الألفاظ المعربة ولهجات البدو)، ثم النحو (بناء الجملة، الفصل بين أجزاء الجملة، والاقتصار على الأسماء والأفعال في العمل)، تليها الصرف، فالرواية، فالمعاني (المعنى الجزئي وتوافقه مع غرض الشاعر)، والبلاغة (الاستعارة، التشبيه، الكناية). ويُختتم المنهج بالاستعانة بالشواهد القرآنية والحديث النبوي وأقوال العرب والشعر. يُظهر البحث أن الواحدي اعتمد على علماء سابقين كسيبويه وابن جني، وأنه تعامل مع اللغة بعمق لاستخراج جواهر المعنى. كما يكشف عن تفرد الواحدي في تتبع الروايات اللغوية والصرفية، ودقته في ربط المعاني الجزئية بالغرض العام للشاعر، مع إبراز تعاطفه أحياناً مع استخدامات المتنبي اللغوية. ويُبرز البحث أيضاً منهج الواحدي في استخدام الشواهد التراثية لدعم شرحه وتوضيح المعاني.

الكلمات المفتاحية: الواحدي، المتنبي، التحليل اللغوي، النقد الأدبي، بناء الجملة.

Abstract:

This research examines Al-Wahidi's critical methodology in explicating Al-Mutanabbi's poetry, focusing on linguistic principles and analogies in sentence construction. The research proceeds from Al-Mutanabbi's poetry's status as a unique phenomenon in Arabic literature, which has received numerous commentaries characterized by repetition and literal transcription. The research aims to investigate Al-Wahidi's approach in explicating Al-Mutanabbi's Divan, highlighting his narration, methodology, and systematic method that began with the study of language (Arabicized words and Bedouin dialects), followed by grammar (sentence structure, separation of sentence parts, and focusing on nouns and verbs in the work), then morphology, then narration, then meanings (partial meaning and its conformity with the poet's intent), and rhetoric (metaphor, simile, metonymy). The methodology concludes by drawing on Quranic evidence, Prophetic Hadith, Arab sayings, and poetry. The research shows that Al-Wahidi relied on earlier scholars like Sibawayh and Ibn Jinni, and that he dealt with language deeply to extract the essence of meaning. It also reveals Al-Wahidi's uniqueness in tracing linguistic and morphological narrations, his precision in linking partial meanings to the poet's general intent, while sometimes showing sympathy for Al-Mutanabbi's linguistic usages. The research also highlights Al-Wahidi's method of using classical evidence to support his commentary and clarify meanings.

Keywords: Al-Wahidi, Al-Mutanabbi, Linguistic Analysis, Literary Criticism, Sentence Structure.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن جمال اللغة العربية يجعل عاشقها يتتبع مواطن الجمال فيها، وينقب عن أسرار هذا الجمال. واللغة العربية التي وسعت كتاب الله لفظًا وغاية، جديرة بالوقوف على ظواهرها وأسرارها. ومن هذا الجمال أشعار المتنبي التي تُعتبر ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العربي، دفعت غير عالم وأديب إلى شرحه، مُظهرًا عيوبه، أو مفسرًا مشكلاته، أو متعصبًا له، دافعًا عنه كل عيب، حتى كثرت هذه الشروح واضطربت المصادر في تحديدها.

واللافت للاهتمام أن رواياته لم تقتصر على المشرق فحسب، بل وصلت إلى مصر والمغرب والأندلس. والشيء اللافت للانتباه في هذه الشروح أن جميعها لم تختلف في طريقة تناولها لشعر المتنبي، ولم تختلف النظرة للمتنبي بينهم، وتشابهت شروحهم وطريقة تناولهم؛ لهذا ظهر التكرار جليًا بين هذه الشروح وظهر النقل الحرفي عند أغلبهم.

وقد تناولنا في هذا العرض منهج الواحدي، المتمثل في روايته ومنهجه وطريقته في الشرح. وقد سلك طريقة منظمة بدأها بدراسة الشعر وشرحه بادئًا باللغة، حيث اتبع منحيين: الألفاظ المعربة ولهجات البدو. وانتقل إلى النحو وسلك فيه ثلاث مناح:

- بناء الجملة في شعر المتنبي.
- الفصل بين أجزاء الجملة.
- الاقتصار على الأسماء والأفعال في العمل.

لينتقل بعد ذلك إلى الصرف، فالرواية، ثم المعاني. وفيها تناول المعنى الجزئي وتوافقه مع غرض الشاعر. كما تناول البلاغة من جهة:

- الاستعارة.
- التشبيه.
- الكناية.

ثم ختم منهجه بالتوجه إلى الاستعانة بالشاهد القرآني والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العرب والشعر.

لا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى أستاذنا الدكتور مولاي علي سليماني الإنسان والأستاذ على ما قدمه لطلبته من نصح وإرشاد، ووضع القطار على السكة الصحيحة لبلوغ أربنا في هذه المغامرة الشعرية، فكان نعم الموجه والمؤطر والمشرف، فله منا كل الثناء والامتنان.

وتبقى محاولتنا بداية نتوخى منها التعميق والتمحيص، فإن أصبنا فمن الله، وإن جانبنا الصواب فمن النفس والشيطان، ونرجو ألا نحرم أجر المجتهدين، سائلين الله أن يلهمنا الرشد ويجنبنا الزلل، ويهدينا إلى الخير كله، إنه سميع مجيب، والله ولينا وبه التوفيق.

أولًا: منهج الواحدي في شرح الشعر:

بين الواحدي في مقدمة شرحه الأسباب التي دفعته إلى تأليف كتابه، فقد "أقبل الناس على تعلم ديوان المتنبي، وتعلقوا بفنه الشعري، ولم يقعوا على شرح شافٍ يفتح الغلق، ويسيغ الشّرق، ولا بيان

عن معانيه، كاشف الأستار حتى يوضحها للأسماع والأبصار" (شرح ديوان المتنبي للواحدي، مقدمة الشارح، ص 4).

روايته:

أوضح الواحدي في أكثر من مناسبة أنه قرأ الديوان على أبي الفضل العروضي، فكان يقول: "وأقرأني أبو الفضل العروضي" (نفسه، ج 1، ص. 25–5). وقد بين أيضًا أن أبا الفضل العروضي نقل روايته للمتنبي عن طريق الشعراني، وكان الواحدي يقول: "سمعت العروضي يقول: "سمعت الشعراني يقول: لم أسمع المتنبي ينشد" (شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج 1، ص. 25–92).

منهجه:

جاء في مقدمة الواحدي موجزًا مختصرًا لمنهجه في الشرح، فهو يريد أن يصنع كتابًا يسلم من التطويل، وذكر ما يُستغنى عنه في الكثير بالقليل، مشتملًا على البيان والإيضاح. وقد نجح في الاختصار نجاحًا واضحًا، ونبه إلى أنه كان يركز على الجانب الأدبي في كثير من الأحيان وعلى الجانب النحوي إذا اقتضت الضرورة ذلك.

فمن حيث الترتيب، فقد جاء ترتيبه للشرح ترتيبًا تاريخيًا، كما رتبها الشاعر نفسه، مخالفًا ابن جني في ذلك. وقد قسم الواحدي شرحه إلى جزأين، الجزء الأول يضم قصائد العراقيات وقصائد الشاميات، والجزء الثاني يشمل قصائد السيفيات.

طريقة الواحدي في الشرح:

بعد أن استعرضنا موقف الواحدي من الشراح السابقين، فإنه من الجدير بالملاحظة أن طريقة الواحدي في الشرح كانت تتغير من بيت إلى بيت، تبعًا لنقوله من الشراح وأحيانًا من النقاد السابقين له. وقد سلك طريقة في شرحه لديوان المتنبي متبعًا الخطوات الآتية:

1. **اللغة:** من خلال الاطلاع والبحث في شرح ديوان المتنبي للواحدي، اتضح لنا أنه اعتمد في شرحه لشعر المتنبي وما تضمنه من غريب الألفاظ، وتوجيه ما حفل به من مسائل نحوية وصرفية، على كتب وأقوال علماء ورواة الأجيال السابقة. فقد كان يروي في شرحه آراء لكل من سيبويه، وابن جني، وأبي الفضل العروضي، ويحتج بما أُثر عنهم في كل مسألة لغوية أو نحوية تُعرض له، وهو بصدد شرح الشعر. ومما يدل على ما أسلفنا، نستقي مثالًا في شرحه لشعر المتنبي، لنبين كيف تعامل مع المطلب اللغوي وهو يشرح شعر المتنبي:

سِرْبُ محاسنه حرمت ذواتها * داني الصفات بعيد موصوفاته**

يقول: "هو أي سرب حُرمت ذوات محاسنه، وذوات محاسن السرب هن السَّرب، وكأنه قال: أي سرب حرمته، أي حيل بيني وبينه، وهو داني الصفات، لأن الوصف قول وهو قادر عليه متى أراده، إلا أن الموصوف بهذه الصفة وهو السرب بعيد وكأنه يقول: هذا السرب بعيد مني وذكره حاضر، وأضاف ذوات إلى الضمير ولا يجوز ذلك عند سيبويه البتة، وأصحابه لا يجيزون أن تقول هذا رجل ضربت ذاه، أي صاحبه وأجاز ذلك أبو العباس المبرد" (شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج 1، ص. 406-407). فتعامل الواحدي مع اللغة تعاملًا مع مضمون البيت ككل، فهو يسخر كل إمكانات اللغة لتغوص في البيت وتستخرج جواهره ونفائسه.

وفي شرحه لهذا البيت، ما يرويه عن ابن جني من بحر الكامل:

شيم الليالي أن تشكك ناقتي * صدري بها أفضى أم البيداء**

قال ابن جني: "من عادات الليالي أن توقع لناقتي الشك أصدري أوسع أم البيداء لما ترى من سعة وبعد مطلبي؟ وهذا إنما يصح لو لم يكن في البيت بها وإذا رددت الكناية في (بها) إلى الليالي بطل ما قال: "لأن المعنى صدري بالليالي وحوادثها وما تورد علي من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع أم البيداء" (المرجع نفسه، ص 296).

وفي ذكر المناسبة، يقول المتنبي:

فإن تفُق الأنام وأنت منهم * فإن المسك بعض دم الغزال**

يقول الواحدي: "إن فضلت الناس وأنت من جملتهم، فقد يفضل بعض الشيء جملته، كالمسك وهو بعض دم الغزال، وقد فضله فضلًا كثيرًا. قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي: كان سيف الدولة يسر بمن يحفظ شعر المتنبي، وأنشدته يومًا: 'رأيتك في الذين أرى ملوكًا'، وكان أبو الطيب حاضرًا فقلت هذا البيت والذي يتلوه لم يُسبق إليه فقال سيف الدولة كذا حدثني ثقةٌ أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت فأُعجب المتنبي، واهتز فأردت أن أحرّكه فقلت إلا إن في أحدهما عيبًا في الصنعة، فالتفت المتنبي التفات حنق فقال ما هو فقلت قولك مستقيم في محالٍ والمحال ليس ضدًا للاستقامة وإنّما ضدها الاعوجاج فقال الأمير هب القصيدة جيمية فكيف تعمل في تغيير قافية البيت الثاني فقلت عجلًا كردة الطرف: 'فإن تفُق الأنام وأنت منهم، فإن البيض بعض دم الدجاج' فضحك وضرب بيده وقال حسن مع هذه السرعة إلاّ أنه يصلح أن يباع في سوق الطير لا أنّه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن" (شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج 2، ص 580).

وهذا مما يفضل به الناس بمطلق العموم، فقد جعل المتنبي سيف الدولة متفوقًا على الجميع، دون إخراجه من زمرتهم.

- **استخدام الألفاظ المعربة:** كان للثقافة الدخيلة على العربية أثر كبير في وجود عدد من الألفاظ الغريبة وقد استعملها العرب بعد تطويعها للمنهج العربية، في أصواتها وبنيتها، وما شاكل ذلك، فأصابها تحريف عن أصلها عند أصحابها من غير العرب. وقد جاءت ملاحظات الواحدي –في الغالب– مركزة على لغتها الأصيلة والفئة التي تستخدمها كقول المتنبي:

نور تظاهر منك لا هوتية * فتكاد تعلم علم ما لن يُعلما**

يقول الواحدي: "لاهوتية: الهيئة وهذه لغة عبرانية يقولون لاهوت وناسوت" (شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج 1، ص 20). ويقول ابن فورجة: "اللاهوت والناسوت لفظتان مولدتان يتكلم بها الفلاسفة والمتكلمون يريدون الإلهي والإنساني من العلوم" (الفتح على أبي الفتح: ابن فورجة، ص 301). فتفيد ملاحظة الواحدي دلالة لغوية عامة، عليها مسحة من اهتماماته الدينية، أما تعليق ابن فورجة فيفيد بالإضافة إلى بيان دخولها على اللغة العربية دلالة خاصة على ثقافة المتنبي ومعرفته بألفاظ الطائفتين السابقتين. وإذا كان المتنبي قد اكتسب مثل اللفظة السابقة عن ثقافة، فربما اكتسب غيرها من رحلاته وتطوافه في أرجاء الدولة الإسلامية بين شعوب لهجات متعددة شعر بينها بغربة اللسان، انتقل إلى لغة منها شيء وأعانته جسارته اللغوية التي شهد بها ابن جني (انظر الفسر: ابن جني، ج 1، ص 113).

- **استخدام لهجات البدو في شعره:** إذا كانت الظاهرة السابقة تمثل في كثير منها مظهرًا لا إراديًا من مظاهر استخدام الشاعر للغة، تؤثر فيه بمجتمعه وبيئته، فإن هذه الظاهرة تمثل في كثير منها مظهرًا إراديًا لاستخدام الشاعر للغة – يقصده في الغالب – حرصًا على إثبات فصاحته ومعرفته بلغة العرب، خاصة وقد كان يقصد بشعره العلماء يغيظ به من وجد منهم في الحواضر التي قصدها، ويعينه على هذا وقوعه على بادية السماوة، حيث قضى في قبيلة بني كلب ما يزيد على سنتين وهو صبي. وقد حاول بعض الشراح تخريج ما في شعره من الغريب أو معرفة مصادره على الإجمال، فذكر أبو القاسم الأصفهاني "وكلما في كلامه من الغريب مستقاة من الغريب المصنف" (أبو القاسم الأصفهاني: الواضح، ص 53)، سوى حرف واحد هو في كتاب الجمهرة وهو قوله: "وأطويكما يطوي المجلَّدة العقد" (أبو القاسم الأصفهاني: الواضح، ص 53). يفهم من الاستخدامين للغة أن الأول (استخدام الألفاظ المعربة) لا إرادي، بحكم الاحتكاك مع أمم مولدة، والثاني (استخدام لهجات البدو) إرادي، حيث النهل من العربية في أفصح حللها.

1. النحو

وقف الواحدي في شرحه لديوان المتنبي عند الوظائف النحوية من أجل أغراضه السابقة في التوضيح الذي يعطي للتحليل النحوي دور الفاعلية في الكشف عن المعاني وتفسيرها، وتعبيرًا عن طريقة تفكيره التي تعني سبق المعنى، والبحث عن تبرير لما هو أكثر عطاء. ومن ذلك عند تعليقه على شرح ابن فورجة لقول المتنبي:

تُدبِّر شرقَ الأرضِ والغربِ كفُّه * وليس لها وقتا عن الجود شاغل**

قال أبو الفتح: نصب (وقتا) لأنه ظرف لشاغل، أنه قال: وليس لها شاغل عن الجود وقتًا فما فوقه. ويقول ابن فورجة: "والذي رويناه (وقت) بالرفع، و(وقت) اسم ليس، وشاغل صفة له وليس يمنع ما رواه أبو الفتح، وفيما رويناه معنى لطيف ليس يؤديه السقط إذا نصب (الوقت)، ذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما تحويانه مع عظمة وليس لها وقت يشغلها عن المجد مع صغرها لأن (كفا) تملك الأرض شرقًا وغربًا كانت بأن تملك ما هو أصغر منها، وإذا نصب (وقتاً) كان شاغل مؤديًا لما أشرت إليه، إلا أنه يبقى وقتاً كالفضلة التي لو سكن عنها لجاز، فأنعم النظر برفق يتضح لك ما ذكرت" (الفتح: ابن فورجة، ص. 231–232).

ساهم النحو في فك بعض طلاسم البيت، ويعتبر الواحدي هذا الركن أساسيًا في ملامسة أغوار المعنى، كما تبين لنا في نصب (وقتا) حيث صار تدبير سيف الدولة للعوالم كلها شرقها وغربها.

- **بناء الجملة في شعر المتنبي:** أشار الواحدي إلى هذا الاتجاه من خلال بناء الجملة في شعر المتنبي عند إعادته ترتيب كلمات كل بيت لفهم معناه، ونظر إليه كذلك على ضوء فكرة الصواب والخطأ المعيارية، فابن فورجة يعده من أسباب غموض المعنى وإبهامه (الفتح علي أبي الفتح ابن فورجة، ص 41). ونصوغ مثالًا يوضح طريقة الواحدي في بناء الجملة، من خلال بيت للمتنبي:

فَتًى أَلْفُ جُزءٍ رأيُه في زمانِهِ * أقلُّ جزءٍ بعضُه الرأيُ أجمَعُ**

يقول الواحدي: "ترتيب الكلام، فتى رأيه في زمانه ألف أقل جزء من هذه الأجزاء الألف، بعضه أي بعض أقل جزء من رأيه الرأي الذي في أيدي الناس كله فألف جزء مرفوع لأنه خبر مبتدأ قدم عليه وهو قوله رأيه، وأقل مرفوع بالابتداء، وبعضه مبتدأ ثان وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول والرأي

خبر عن المبتدأ الثاني وأجمع توكيد للرأي وهذا كما يقال زيد أبوه قائم" (شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج 1، ص 45). فيعيد ترتيب أجزاء الكلام ليحصل على معنى مفيد، ثم يورد الإعراب خدمة لقضية توضح المعنى.

- **الفصل بين أجزاء الجملة:** بيّن الواحدي كغيره من الشراح السابقين كثيرًا من هذه الصور للفصل بين أجزاء الجملة التي تتفاوت أهميتها على حسب دورها فيها، وتتوقف على صورة الفصل إمكانية تصور معنى البيت وإدراكه. ويمكن الاستشهاد بهذا البيت، بقول المتنبي:

أنى يكون أبا البرايا آدم * وأبوك والثقلان أنت محمد**

منهج الواحدي في هذا البيت لم يقتصر على الشرح، بل صار ناقدًا فاصلًا بين أجزاء الجملة، مبينًا عيب المتنبي في نظم هذا البيت؛ يقول الواحدي: "وفصل أبو الطيب في هذا البيت بين المبتدأ والخبر بجملة من مبتدأ أو خبر، وهذا تعسف" (شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج 1، ص 79). اعتماد الواحدي على الفصل بين أجزاء الجملة مكنه من القبض على معنى البيت، لأن المتنبي معروف عليه خرقه للغة، فانظر كيف وضع جملة اسمية مكونة من خبر مقدم (الثقلان) ومبتدأ مؤخر (أنت) بين المبتدأ (أبوك) والخبر (محمد).

- **العمل بعمل الأسماء والأفعال فقط:** وهناك ظاهرة أخرى تتكرر في شعر المتنبي، ونبه على وجودها الواحدي وغيره من الشراح وإن لم يمتد إلى تحليلها، من ذلك إعمال إلاَّ عمل الفعل في قول المتنبي:

لم ترَ من نادَمتُ إلاَّكا * لا لِسِوى وُدِّكَ لي ذاكا**

قال ابن جني: وقوله (إلاّكا) قبيح لا يجوز إلا في ضرورة الشعر والوجه إلاّ (إياكا) لأن (إلاَّ) ليس لها قوة الفعل ولا هي عاملة عمل كان ونحوها (الفسر، ص 105).

كما يشير الواحدي وغيره من الشراح إلى استعمال المتنبي الظروف استعمال الأسماء كما في قوله:

ويمنعني ممَّا سوى ابنَ محمد * أَيَادٍ له عندي يضيق بها عِنْدٌ**

يقول الواحدي ناقلًا عن ابن جني: "رفع عند وهي من الظروف التي لا تستعمل إلا ظروفًا، وذلك أنه حمل الكلام على المعنى" (شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج 2، ص 108)، مع أن الحمل على المعنى لا يسوغ دائمًا عند البصريين، فلا يمكن حسب الواحدي أن تعمل الظروف عمل الأسماء أو الأفعال.

2. التحليل الصرفي:

الصرف وسيلة من وسائل الوصول للمعنى الشعري، ونتحدث هنا عن النتائج التي تميز الاستخدام اللغوي في شعر المتنبي، لذلك نهتم به من أجل الكشف عن سمات موقف الواحدي من المشكلة اللغوية لشعر المتنبي التي أشار إليها. وكما أسلفنا، أن الواحدي قد اطلع على عدد كبير من الشروح منها ما كان يناقشها ويوافقها، ومنها ما كان يختلف معها، ويعارضها، أو يوافقها دون التعليق عليها. وبذلك نرى الواحدي لا يتفق مع الشراح السابقين في الوقوف على ما تحمله الكلمة من معانٍ، أو تؤديه من صيغ صرفية. وقد يُلاحظ عنه التعاطف مع الشاعر أحيانًا، وأحيانًا يعارضه في صحة تراكيب الجمل من الجوانب الصرفية واللغوية. وفي المثال التالي نرى كيف استعمل جمع التكسير... في قول المتنبي:

أُرُوضُ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ * وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ**

فكلمة (أُرُوضُ) جمع أرض قياس لا سماع، ونص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير قال: "واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضيين على أن أبا زيد قد حكى في جمع أرض أروض" (شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج 2، ص 108). وقد كانت طريقة الواحدي في تقديم المسموع عن العرب مهما كانت غريبة والقياس عليه في صالح استخدام المتنبي، الذي ربما أفاده من بيئته، والذي يتعارض مع طريقة البصريين في إهدار القليل والنادر وعدم القياس عليه. وهذا الوصف يشير إلى تعاطف الواحدي ورغبته في تبرير استخداماته للغة المولدين.

وفي ضوء ما تراءى لنا من خلال إمعان الواحدي في شرح شعر المتنبي، ندرك أن الواحدي كان يورد آراء العلماء وأئمة اللغة، ولكنه لا يأخذها على علاتها ولا يرفضها لمجرد الرفض، ولكنه يقبل منها ويرفض، فيحذف منها ما يناسب فهمه وعقله بتراث يزيد به مواقفه وإمكاناته. ومن هنا استطاع أن يقدم إضافات جديدة إلى آراء سابقيه من الشراح، يمكننا أن نمثلها الآن إجمالًا على النحو التالي:

- تتبعه للغريب من اللغة، وللقضايا الصرفية والنحوية.
- عنايته بالمعنى وتقلباته المختلفة.
- النظر إلى البيت كوحدة معنوية قائمة بذاتها.

3. الرواية:

ليتأكد من سلامة شرحه، نجد الواحدي حريصًا في ضبط الروايات التي شرحت شعر المتنبي، فكان يقارن بين الروايات حتى يصل إلى أصح رواية، والمفاضلة بين رواية وأخرى ليس بالأمر السهل حتى على المتمرسين أحيانًا. وجاء هذا الاهتمام لإدراك أن هذا الأمر يسهم في الكشف عن المعنى

الصحيح الذي يعبر عنه الشاعر، وينتج عن ذلك أن شرحه لشعر المتنبي جاء حافلًا بتتبع الروايات وتوثيقها وتفضيلها. وتظهر هذه الملامح أثناء شرحه لقول المتنبي:

وريعُ له جيشُ العدوِ وما مَشى * وجَاشتْ له الحربُ الضروسُ وما تُغلى**

يقول: "إن الأعداء خافوه وهو صبي لم يمش، فكأن الحرب الضروس قامت عليهم، وقوله وما تغلى يشير إلى أن الحرب قامت معنى لا صورة، وذلك المعنى هو الخوف. ومن روى يغلى بالياء أراد جاشت الحرب ولم يغل الطفل حنقًا عليهم، ومن يروي يطلي بالطاء فهو من طليت رأسه بالسيف أي ضربته، ويروى يقلي بالقاف أي لم يبلغ حد البغض لأعدائه" (شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ج 1، ص 412).

ويذكر الواحدي الروايات المختلفة للبيت مع ترجيحه لإحدى الروايات تبعًا لمقتضيات السياق العام:

يقول: "كل الناس رووا لكم، والصحيح رواية لكم باللام، لأنه يقال عرضت فلانًا فتعرض له، ويجوز أن يكون بكم من صلة معنى التعريض لا من لفظه" (شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ج 1، ص 456).

وهكذا نجد الواحدي في شرحه يستعين أحيانًا بآراء العلماء وأئمة اللغة فمنهم من يخالفه في المعنى، ومنهم من يجاريه في شرحه للبيت أو روايته، ومنهم من يناقشه ويعارضه، وأحيانًا يقدم هذه الروايات لهؤلاء العلماء ثم يرجح أصحها وأفضلها.

وبعد نقله لهذه الروايات نراه يدقق ويتفحص فيها ثم يقف عند أصح رواية فيقول: الرواية الصحيحة في هذا البيت:

أهلا بدارٍ سَبَاكَ أُغِيدُهَا * أَبْعَدُ مَا بَان عَنْكَ خُرْدَهَا**

ما نراه في هذا البيت أنه يعتمد رواية خاصة ويجعلها الأجدى، لأنه كان يأتي بروايات عدة فينظر في شرحها لغويًا، ويذكر كل ما يتعلق بها من معانٍ أخرى على سبيل التوسع والاستطراد. كما نراه يستند على بعض الآراء والأدلة العلمية التي يرويها عن العلماء، ثم يورد بعض الشواهد الشعرية من الشعر القديم ليماثل به المعنى. ومن ذلك شرحه لقول المتنبي:

لَهُ آيادِ إِلَيَّ سَابِقَةٌ * أُعِدُّ مِنْها وَلاَ أُعْدِدْهَا**

يقول: "له أمان علي ونعم سابقة متقدمة ماضية ويروى سالفة... ويقول ومن روى أعد منها كان المعنى أنه يعدُّ بعض أياديه" (عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقديه، ص 133).

1. المعاني:

في هذا المجال نجد معظم الشراح يعترفون لأبي الطيب بالبراعة، ولعل بحثهم في ذلك يعود إلى عدم استيفاء المتنبي لمعانيه من الشعراء السابقين، أو بالمعنى الصحيح أنه لم يأخذ عن غيره ممن سبقوه ويقتبس منهم، بل كانت جل معانيه من ابتكاراته وإبداعاته.

وهذا كلام مردود عليه، يقول ابن طباطبا: "وإذا اعترف الشراح بسرقة المتنبي، فإنهم يثبتون له فضلًا في سرقته، وفق مفهوم النقد القديم للسرقة المستحسنة، التي تزيد على القول الأمثل بجودة الصياغة وإيجازها، وإخفاء السرقة بنقل المعنى من غرض إلى آخر أو من نثر إلى شعر" (ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 9).

ويشير الواحدي إلى أن المتنبي بقوله:

ها فانظري أو فظُنِّي بي ترى حُرْقا * مَنْ لم يذُقْ طَرَفًا منها فقد وَالاَ**

قد أجمل ما فصله البحتري في بيتين من الوافر:

أعيدي في نظرة مستثيب * تُوفي الأجرَ أو كَره الأثاما**

ترى كبِداً مُحرَّقةً وعينا * مُؤَرقةً وقلبا مستهاما**

(شرح ديوان المتنبي، ج 1، ص 25)

فالمتنبي فضل إيجاز المعنى في بيت بعد أن كان في بيتين، كذلك يشير الواحدي إلى توضيح المتنبي للمعنى دون الزيادة في صياغته عن بيت.

- **توافق المعنى الجزئي مع غرض الشاعر:** اهتم الواحدي بالمعاني اهتمامًا، وسخر كل إمكاناته وجهوده في الوصول إلى تحليل المعاني تحليلًا دقيقًا، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سعة ثقافته المتعددة، وكثرة اطلاعه على معظم الشروح التي أسلفنا الحديث عنها. وبذلك أثمرت تلك الجهود وأتت أكلها في إيجاد معانٍ ذات قيمة لغوية وُضعت بين يدي المتلقي بكل سهولة ويسر وما تحمله من مضامين فنية وما يعبر عنه الشاعر من رؤى وتجارب.
- **البلاغة:** إن اهتمام الواحدي بالجوانب اللغوية، والنحوية، والرواية، والمعاني، جعله لا يهتم بعنصر البلاغة في شرحه، لهذا كانت نظراته في هذا الجانب نظرات عفوية، وإشارات سريعة دون تحليل عميق، للوصول إلى الجوانب الإبداعية والجمالية في النص المشروح. إن المتبع لعنصر البلاغة في شرح الواحدي لديوان المتنبي يدرك بجلاء ووضوح أنه لا يتضمن إلا ومضات قليلة من جهده في علم البيان بفروعه، الاستعارة، والتشبيه، والكناية:

أ. **الاستعارة:** أشار الواحدي في شرحه لديوان المتنبي إلى الاستعارة، واستشهد بقول المتنبي:

وربما فارقَ الإنسانُ مُهجَتَهُ * يومَ الوغَى غيرِ قالٍ خَشيةَ العارِ**

قال الواحدي: "شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه" (شرح ديوان المتنبي، الواحدي ج 1، ص 215).

ب. **التشبيه:** تناول الواحدي في شرحه التشبيه عند المتنبي، ملتزمًا بوحدة البيت التي جعلته يقتصر في تناوله للتشبيه على البيت الواحد، ولم يخرج عنه. فوقف عند الصورة الجزئية، ولم يربطه بالصورة العامة، أو التجربة الفردية المتكاملة للقصيدة. وهذه بعض الأمثلة التي أشار فيها إلى التشبيه في قول المتنبي:

كأنَّ الفجْرَ حَبٌّ مُسْتزارُ * يُراعي في دَجْنتهِ رَقِيبا**

قال الواحدي: "شبه الفجر بالحبيب، والظلام بالرقيب، وكأن أداة التشبيه" (شرح ديوان المتنبي، الواحدي ج 1، ص 292).

ج. **الكناية:** لم يخرج عن المعنى اللغوي للعبارة، وهو في شرحه يكتفي بالإشارة إلى الكناية دون أن يحاول أن يربطها بالمعنى العام للنص الشعري، وظل في نظرته لمعنى الكناية خاضعًا لعرف لغوي رسمه البلاغيون. ومن الأمثلة التي أشار الشارح فيها إلى وجود الكناية في شعر المتنبي قوله:

درَّ درُّ الصِّبَا أيامَ تجري * رِ ذُيولِي بدَارِ أَثْلَةَ عُودي**

قال الواحدي: "وجر الذيول أرتك احمرار الموت في مدرج النمل كناية عن النشاط واللهو، لأن النشوان والنشيط يجر ذيوله ولا يرفعها" (نفسه، ص 20).

2. الاستعانة على شرح الشعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف وبالتراث من أقوال العرب:

أ. **القرآن الكريم:** استعان الواحدي في توثيق شرحه بشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وأشعار العرب وأقوالهم. ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر:

هذه مُهجَةِ لديْكَ لحِيني * فانْقُصِي من عذابِها أو فَزِيدي**

فسر الواحدي هذا البيت قائلًا: هذا القول مأخوذ من قوله تعالى: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) (سورة المائدة، الآية 118). ولقد تشابه المعنيان ظاهرًا فالمتنبي وضع روحه بين يدي محبوبته، وترك لها الخيار في تصرفها فيه، فلها أن تزيد عذابه، ولها أن تنقصه. أما الآية الكريمة فمعناها: إن تعذبهم فأنت مالكهم، تتصرف بهم كيف شئت، لا يجرؤ أحد أن يعترض على فعلك.

ب. **الحديث النبوي الشريف:** وقد جاء استخدام الواحدي للحديث الشريف في شرح لفظة، أو لتوضيح معنى، أو لتعزيز حكاية، أو قضية لغوية. وسنعرض لبعض الأمثلة من ذلك قول المتنبي مخاطبًا سيف الدولة:

إنْ كان ذنبْي يُوازِي ذُنوب الناسِ * كلِّهم فإن تَوبتي تمحُوهُ**

قال الواحدي: يريد قول الرسول ﷺ: (التائب من ذنبه كمن لا ذنب له) (شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1، ص 253).

ج. **الشعر وأقوال العرب:** تطرق الواحدي إلى شعر المتنبي حيث أشار إلى ما أخذه من أقوال العرب وما أُثر عنهم، ومن ذلك قول المتنبي:

تملَّكَهَا الآتِي تملُّك سالبٍ * وفَارَقهَا المَاضِي فِراقَ سليبٍ**

ومعنى البيت: إن من ورث الأرض كأنه سلبها من صاحبها، والموروث هو المسلوب. قال الواحدي: "وهو مأخوذ من قولهم في الموعظة إن في أيديكم أسلاب السالكين، وسيتركها الباقون، كما تركها الأولون" (نفسه، ج 1، ص 50). وما استشهد به الواحدي من الشعر قوله:

وكمْ مِنْ عَائبٍ قوْلاً صحِيحاً * وآفتُهُ منَ الفهْمِ السَّقيمِ**

قال الواحدي: "أخذه من قول أبي تمام حين قيل له لم لا تقول ما يفهم فقال لم لا تفهم ما يقال" (شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ج 2، ص 329). إن ما ذكره الشارح من أن المتنبي قد أخذ معانيه عن غيره ونقلها ممن سبقوه، ومن أقوال الحكماء فهذا مما يدل على أنه كان صاحب معانٍ مبتكرة، فهي تُحسب له لا عليه فقد بينوا بذلك مقدرته الثقافية دون أن يعلموا أنهم بذلك قد أفادوه بدون علمهم، وقد استطاع أن يوظف ثقافته في خدمة تجربته الشعرية فأجاد وأبدع.

الخاتمة

نود أن نجمل ما توصلنا إليه من نتائج من خلال بسط أهم ما اشتملت عليه مواد هذا العرض المتواضع. وهكذا يكون الواحدي قد سلك طريقة منهجية، متبعًا الخطوات الآتية وهو يشرح ديوان المتنبي:

- يتجه في شرحه اتجاهًا لغويًا نحويًا، فقد بدأ بتفسير الغريب من الألفاظ والمُشكَّل من العبارات، إلى استقصاء الأصول والنظائر النحوية والصرفية، وتوضيح اشتقاقات الكلمات، وتطور معانيها وصلتها باللهجات المحلية للقبائل، واللغات المجاورة، ثم ينتهي بتوضيح معاني الأبيات.

- تأثر الواحدي بالمناهج العلمية اللغوية التي كانت سائدة آنذاك عند العلماء السابقين مثل ابن جني، وابن فورجة.
- تأثره بالمحيط الثقافي والحضاري الذي شهده العصر العباسي خلال القرن الرابع الهجري، الذي شهد ثورة عارمة في سن مناهج وأساليب جديدة في شرح الشعر والتفسير والتأليف.

ويمكن عرض مكونات منهجه على النحو التالي:

- شرح الغريب من الألفاظ.
- عرضه للروايات المختلفة للأشعار وشرحها.
- إشارته إلى بعض المواضع البلاغية باقتضاب.
- دعم شرحه بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي، وأشعار العرب وأمثالهم.
- منهج الواحدي اتضح لنا أنه كان يشير إلى المذاهب النحوية.
- سعيه من خلال جهده الكبير إلى توظيف ثقافته اللغوية والنحوية والأدبية في سبيل الوصول إلى حقيقة المعنى.

اتسمت شخصيته وثقافته بالطابع اللغوي والنحوي، في مقابل إهماله للجانب البلاغي، فهو شارح استطاع أن يبتكر منهجًا يختلف عن سابقيه من الشراح، فقد وجدهم قد سلكوا مناهج مختلفة في شروحهم كل شرح أعطى جانبًا دون آخر من الأهمية فأراد بمنهج جديد أن يجمع بين هذه الشروح في شرح واحد أي أن يجمع شروحًا في شرح، ومن ثم جاء عمله مغايرًا لهم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الأصفهاني، أبو القاسم. (1968). الواضح في مشكلات شعر المتنبي (تحقيق محمد الطاهر بن عاشور). تونس: الدار القومية للنشر.
2. بلاشير. (د. ت.). ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المشرقيين (تحقيق أحمد بدوي، ط1). نهضة مصر.
3. ابن جني. (1970). الفسر (تحقيق صفاء خلوصي). بغداد: المؤسسة العامة للطباعة.
4. ابن طباطبا العلوي. (1956). عيار الشعر (تحقيق طه الحاجري وزغلول سلام). القاهرة: شركة الطباعة.
5. ابن فورجة. (1974). الفتح على أبي الفتح (تحقيق عبد الكريم الدجيلي). بغداد: منشورات وزارة الإعلام.
6. شعيب، محمد عبد الرحمن. (1964). المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث (ط1). مصر: دار المعارف.
7. الواحيدي. (د. ت.) .شرح ديوان المتنبي (تحقيق عمر فاروق الطباع). بيروت، لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم.